

الباب الثالث عشر: في الصمت وصون اللسان والنهي عن الغيبة والسعي بالنميمة ومدح العزلة وذم الشهرة وفيه فصول

الفصل الأول: في الصمت وصون اللسان

قال الله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَيْكَ لَبِالْمُرْصَادِ﴾^(٢) واعلم أنه ينبغي للعاقل المكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاماً تظهر المصلحة فيه، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه، لأنه قد يجرُّ الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، بل هذا كثير وغالب في العادة والسلامة لا يعادلها شيء. وروينا في صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيصْمْتَ». قال الشافعي رضي الله تعالى عنه في «الأم»: إذا أراد أحدكم الكلام فعليه أن يفكر في كلامه فإن ظهرت المصلحة تكلم، وإن شك لم يتكلم حتى تظهر. وروينا في صحيحهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: قلت يا رسول الله أي المسلمين أفضل؟ قال: «مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ». وروينا في كتاب الترمذي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «أَمْسَكَ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلِيَسْعَكَ بَيْتُكَ وَإِنَّكَ عَلَى خَطِيئَتِكَ» قال الترمذي: حديث حسن. وروينا في كتاب الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ» والأحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة وفيما أشرت إليه كفاية لمن وفقه الله تعالى.

أما الآثار عن السلف وغيرهم في هذا الباب فكثيرة لا تحصر لكن ننبه على شيء منها. فما جاء من ذلك ما بلغنا أن قس بن ساعدة وأكثم بن صيفي اجتمعا فقال أحدهما لصاحبه: كم وجدت في ابن آدم من العيوب؟ فقال: هي أكثر من أن تحصر. وقد وجدت خصلة إن استعملها الإنسان سترت العيوب كلها. قال: وما هي؟ قال: حفظ اللسان. وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه لصاحبه الربيع: يا ربيع لا تتكلم فيما لا يعنك فإنك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها. وقال بعضهم: مثل اللسان مثل السبع إن لم توفقه عدا عليك ولحقك شره. ومما أنشدوه في هذا الباب.

احْفَظْ لِسَانَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ لَا يَلِدْغَنُكَ أَنَّهُ ثَعْبَانُ
كَمْ فِي الْمَقَابِلِ مِنْ قَتِيلٍ لِسَانِهِ كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ الشَّجَعَانُ

(١) سورة: ق، الآية: ١٨.

(٢) سورة: الفجر، الآية: ١٤.

وقال الفارسي:

لَعْمُرُكَ إِنَّ فِي ذَنْبِي لَشَغْلًا لِنَفْسِي عَنِ ذُنُوبِ بَنِي أُمَّيَّةٍ
على ربي حسابهم إليه تناهى علم ذلك لا إليّ

وقال علي رضي الله عنه: إذا تم العقل نقص الكلام وقال أعرابي: رب منطق صدع جمعاً^(١)، وسكوت شعب صدعاً. وقال وهب بن الورد: بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت والعاشر في عزلة الناس. وقال علي بن هشام رحمه الله تعالى عليه:

لَعْمُرُكَ إِنَّ الْحَلِمَ زَيْنٌ لِأَهْلِهِ وما الحلم إلا عادةٌ وتحلمُ
إذا لم يكن صمْتُ الفتى عن ندامَةٍ وعيٌّ فإنَّ الصمَّتْ أُولَى وَأَسْلَمُ

وقال ابن عيينة: مَنْ حرم الخير فليصمت. فإن حرمه فالموت خير له. وعن رسول الله ﷺ أنه قال لأبي ذر رضي الله عنه: «عليك بالصمت إلا من خير فإنه مطردة للشيطان، وعون على أمر دينك». ومن كلام الحكماء: مَنْ نطق في غير خير فقد لغأ، ومَنْ نظر في غير اعتبار فقد سها، ومَنْ سكت في غير فكر فقد لها، وقيل لو قرأت صحيفتك لأغمدت صفيحتك، ولو رأيت ما في ميزانك لختمت على لسانك. ولما خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت طال صمته فقيل له: ألا تتكلم. فقال: الكلام صيّرنِي في بطن الحوت. وقال حكيم: إذا أعجبك الكلام فاصمت، وإذا أعجبك الصمت فتكلم. وكان يقال: من السكوت ما هو أبلغ من الكلام، لأن السفه إذا سكت عنه كان في اغتنام. وقيل لرجل: بم سادكم الأحنف فوالله ما كان بأكبركم سنًا، ولا بأكثركم مالاً. فقال: بقوة سلطانه على لسانه. وقيل: الكلمة أسيرة في وثاق الرجل فإذا تكلم بها صار في وثاقها. وقيل: اجتمع أربعة ملوك فتكلموا، فقال ملك الفرس: ما ندمت على ما لم أقل مرة، وندمت على ما قلت مراراً. وقال قيصر: أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت. وقال ملك الصين: ما لم أتكلم بكلمة ملكتها، فإذا تكلمت بها ملكتني. وقال ملك الهند: العجب بمن يتكلم بكلمة إن رفعت ضرت، وإن لم ترفع لم تنفع. وكان بهرام جالساً ذات ليلة تحت شجرة فسمع منها صوت طائر فرماه فأصابه. فقال: ما أحسن حفظ اللسان بالطائر، والإنسان لو حفظ لسانه ما هلك. وقال علي رضي الله تعالى عنه: بكثرة الصمت تكون الهيبة. وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه. الكلام كالدواء إن أقللت منه نفع. وإن أكثرته منه قتل. وقال لقمان لولده: يا بني إذا افتخر الناس بحسن كلامهم، فافتخر أنت بحسن صممتك. يقول اللسان كل صباح وكل مساء للجوارح كيف أنتن فيقلن بخير إن تركتنا. قال الشاعر:

احْفَظْ لِسَانَكَ لَا تَقُولْ فِتْنَتِي إن البلاء موكلاً بالمنطق

الفصل الثاني: في تحريم الغيبة

اعلم أن الغيبة من أقبح القبائح وأكثرها انتشاراً في الناس حتى لا يسلم منها إلا القليل من الناس، وهي ذكرك الإنسان بما يكره ولو بما فيه، سواء كان في دينه أو بدنه أو نفسه أو خلقه أو خلقه أو ماله أو ولده أو والده أو زوجته،

(١) صدع: أصابهم وفرقهم.

أو خادمه، أو عمامته أو ثوبه أو مشيته أو حركته أو بشاشته أو خلاعته، أو غير ذلك مما يتعلق به، سواء ذكرته بلفظك، أو بكتابتك أو رمزت إليه بعينك، أو يدك، أو رأسك، أو نحو ذلك. فأما الدين فكقولك سارق، خائن، ظالم متهاون بالصلاة متساهل في النجاسات، ليس بازاً بوالديه، قليل الأدب، لا يضع الزكاة مواضعها، لا يجتنب الغيبة. وأما البدن فكقولك أعمى أو أعرج، أو أعمش أو قصير، أو طويل، أو أسود، أو أصفر، وأما غيرهما فكقولك فلان قليل الأدب، متهاون بالناس، لا يرى لأحد عليه حقاً، كثير النوم كثير الأكل، وما أشبه ذلك، أو كقولك فلان أبوه نجار أو إسكاف، أو حداد أو حائك، تريد تنقيصه بذلك، أو فلان سئء الخلق متكبر مرءاء معجب، عجول، جبار ونحو ذلك، أو فلان واسع الكم، طويل الذيل، وسخ الثوب، ونحو ذلك.

وقد روينا في صحيح مسلم وسنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذكرك أخاك بما يكره». قيل: وإن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته». قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وروينا في سنن أبي داود، والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفة كذا وكذا. قال بعض الرواة، تعني قصيرة فقال: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته أي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لكثرة نيتها». وروينا في سنن أبي داود عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي إلى السماء مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم». وروي عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا». ثم قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليزني فيتوب، فيتوب الله عليه؛ وإن صاحب الغيبة لم يغفر له حتى يغفر له صاحبها». وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: «من اغتاب المسلمين، وأكل لحومهم بغير حق وسعى بهم إلى السلطان جيء به يوم القيامة، مزرقه عيناه، ينادي بالويل والثبور، يعرف أهل ولا يعرفونه». وقال معاوية بن قرة: أفضل الناس عند الله أسلمهم صدرأ، وأقلهم غيبة. وقال الأحنف: في خصلتان لا اغتاب جليسي إذا غاب عني، ولا أدخل في أمر قوم لا يدخلونني فيه. وقيل للربيع بن خثيم: ما تراك تعيب أحداً. فقال: لست عن نفسي راضياً فأنفرغ لدم الناس، وأنشد:

لنفسى أبكى لست أبكى لغيرها
لنفسى من نفسي عن الناس شاغل
وقال كثير عزة:

وسعى إليّ بعب عزة نسوة
جعل الإله خدودهنّ نعالها

وقال محمد بن حزم: أول من عمل الصابون سليمان. وأول من عمل السويق ذو القرنين. وأول من عمل الحيس يوسف. وأول من عمل خبز الجرداق نمرود. وأول من كتب في القراطيس الحجاج. وأول من اغتاب إبليس لعنه الله اغتاب آدم عليه السلام. وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام أن المغتاب إذا تاب فهو آخر من يدخل الجنة، وإن أصر، فهو أول من يدخل النار. ويقال: لا تأمن من كذب لك أن يكذب عليك، ومن اغتاب عندك غيرك أن يغتابك عند غيرك. وقيل للحسن البصري رضي الله تعالى عنه: إن فلاناً اغتابك، فأهدى إليه طبقاً من رطب. فأتاه الرجل وقال له: اغتبتك فأهديت إليّ. فقال الحسن: أهديت إليّ حسناتك فأردت أن أكافئك. وعن ابن المبارك رحمه الله تعالى قال: لو كنت مغتاباً أحداً، لاغتبت والدي، لأنهما أحق بحسناتي، إذا حاكى إنساناً بأن يمشي

متعارجاً، أو متطأطأاً^(١) أو غير ذلك من الهيئات يريد تنقيصه بذلك فهو حرام. وبعض المتفقهين والمتعبدین يعرضون بالغيبة تعريضاً، تفهم به كما تفهم بالتصريح، فيقال لأحدهم: كيف حال فلان؟ فيقول: الله يصلحنا. الله يغفر لنا. الله يصلحنا. نسال الله العافية. نحمد الله الذي لم يبتلينا بالدخول على الظلمة نعوذ بالله من الكبر. يعافينا الله من قلة الحياة. الله يتوب علينا. وما أشبه ذلك مما يفهم تنقيصه فكل ذلك غيبة محرمة.

واعلم أنه كما يحرم على المغتاب ذكر الغيبة كذلك يحرم على السامع استماعها. فيجب على من يستمع إنساناً يتدبى بغيبة أن ينهأ، إن لم يخف ضرراً، فإن خافه وجب عليه الإنكار بقلبه ومفارقة ذلك المجلس إن تمكن من مفارقتها، فإن قال بلسانه اسكت وقلبه يشتهي سماع ذلك، قال بعض العلماء إن ذلك نفاق. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي خُوضِهِمْ﴾^(٢) ومما أنشدوه في هذا المعنى.

وَسَمِعَكَ صُنْ عَنْ سَمَاعِ الْقِيحِ كَصَوْنِ اللِّسَانِ عَنِ التُّطْقِ بِه
فإنَّكَ عِنْدَ سَمَاعِ الْقِيحِ شَرِيكَ لِقَائِلِهِ فانتِبه
وَكَمْ أزعَجَ الحَرَصُ مَنْ طالِبِ فوافى الميئة في مطلبه

الفصل الثالث: في تحريم السعاية بالنميمة

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلْفٍ مِهيْنٍ * هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾^(٣) الآية وحسبك بالنمام خسة ورذيلة، سقوطه وضعته، والهزاز المغتاب الذي يأكل لحوم الناس، الطاعن فيهم. وقال الحسن البصري: هو الذي يغمز بأخيه في المجلس، وهو الهزمة للزمة. وقال علي والحسن البصري رضي الله عنهما: العتل الفاحش السيء الخلق. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: العتل الفاتك الشديد المناق. وقال عبيد بن عمير: العتل الأكل الشروب القوي الشديد، يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة. وقال الكلبي: هو الشديد في كفره، وقيل: العتل الشديد الخصومة بالباطل، والزنيم هو الذي لا يعرف من أبوه قال الشاعر:

زنيماً ليس يعترف من أبوه بغيبى الأم ذو حسيبٍ لثيم

وروينا في صحيح البخاري ومسلم عن حديفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة نمام»، وروي أن النبي ﷺ مرّ بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخرة فكان لا يستتره من بوله». قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمة الله تعالى عليه: النميمة إنما تطلق في الغالب على من ينم قول الغير إلى المقول فيه، كقوله فلان يقول فيك كذا، فينبغي للإنسان أن يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس، إلا ما في حكايته، فائدة لمسلم، أو دفع معصية، وينبغي لمن حملت إليه النميمة وقيل له قال فيك فلان كذا، أن لا يصدق من نم إليه، لأن النمام فاسق وهو مردود الخبر، وأن ينهأ عن ذلك ويتصحه، ويقبح فعله، ويغضه في الله تعالى، فإنه بغيض عند الله، والبغض في الله واجب وأن لا يظن بالمنقول عن السوء لقول الله تعالى: ﴿اجتنبوا كثيراً

(١) متطأطأاً: مخفضاً رأسه.

(٢) سورة: الأنعام، الآية: ٦٨.

(٣) سورة: القلم، الآيتان: ١٠ - ١١.

من الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ»^(١). وسعى رجل إلى بلال بن أبي بردة برجل وكان أمير البصرة فقال له: انصرف حتى اكتشف عنك. فكشف عنه فإذا هو ابن بغي، يعني ولد زنا. قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: لا ينم على الناس إلا ولد بغي، وروي أن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بشراكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله ﷺ. قال: «شراكم المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون العيوب». وروي أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ملعون ذو الوجهين. ملعون ذو اللسانين، ملعون كل شغاز، ملعون كل قتات، ملعون كل نمام، ملعون كل منان». والشغاز المحرش بين الناس يلقي بينهم العداوة، والقتات النمام، والمنان الذي يعمل الخير ويمن به، وأما السعاية إلى السلطان وإلى كل ذي قدرة فهي المهلكة، والحالقة^(٢) لأنها تجمع الخصال الذميمة من الغيبة، وشؤم النميمة، والتغريب بالنفوس، والأموال في النوازل، والأحوال، وتسلب العزيز عزه، وتحط المكين عن مكانته، والسيد عن مرتبته، فكم دم أراقه سعي ساع، وكم حريم استبيح بنميمة نمام. وكم من صَفِيَّتَيْنِ^(٣) تباعدا، وكم من متواصلَيْنِ تقاطعا، وكم من محبَّينِ افترقا، وكم من إلفين تهاجرا، وكم من زوجين تطلقا. فليتق الله ربه عز وجل رجلٌ ساعدته الأيام وتراخت عنه الأقدار، أن يصغي لساع أو يستمع لنمام.

ووجد في حكم القدماء: أبغض الناس إلى الله المثلث. قال الأصمعي: هو الرجل يسعى بأخيه إلى الإمام فيهلك نفسه، وأخاه، وإمامه، وقال بعض الحكماء: احذروا أعداء العقول، ولصوص المودات، وهم السعاة والنمامون، إذا سرق للصوص المتاع، سرقوا المودات. وفي المثل السائر: مَنْ أطاع الواشي ضيَّع الصديق. وقد تقطع الشجر فتنبت، ويقطع اللحم السيف فيندمل، واللسان لا يندمل جرحه. ودفع إنسان رقعة إلى الصاحب بن عباد يحثه فيها على أخذ مال يتيم، وكان مالا كثيرا فكتب إليه على ظهرها: النميمة قبيحة، وإن كانت صحيحة، والميت رحمه الله، واليتيم جبره الله، والساعي لعنه الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. وروينا في كتاب أبي داود والترمذي، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر ومن الناس مَنْ يتلون ألوانا، ويكون بوجهين ولسانين فيأتي هؤلاء بوجه، وذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها». قال صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى:

قُلْ لِلَّذِي لَسْتُ أَدْرِي مَنْ تَلَوْنَهُ	أُنَاصِحُ أُمَّ عَلِيٍّ غِشٌّ يَنْجِينِي
إِنِّي لَأَكْثَرُ مِمَّا سَمْتَنِي عَجَبًا	يَدُّ تَشَجُّ وَأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُونِي ^(٤)
تَغْتَابُنِي عِنْدَ أَقْوَامٍ وَتَمْدُحُنِي	فِي آخِرِينَ وَكُلُّ عَنْكَ يَا تُنِي
هَذَا شَيْئَانِ قَدْ نَافَيْتَ بَيْنَهُمَا	فَاكْفُفْ لِسَانَكَ عَنِ شَتْمِي وَتَزِينِي

وقيل: لألف لحوح جموع، خير من واحد متلون، وكان يشبه المتلون بأبي براقش، وأبي قلمون. فأبو براقش طائر منقط بألوان النقوش يتلون في اليوم ألوانا، وأبو قلمون ضرب من ثياب الحرير ينسج بالروم يتلون ألوانا. ويقال للطنائش الذي لا ثبات معه أبو رياح تشبيهاً بمثال فارس من نحاس بمدينة حمص على عمود حديد فوق قبة باب

(١) سورة: الحجرات، الآية: ١٢.

(٢) الحالقة: قاطعة الرحم.

(٣) صَفِيَّتَيْنِ: خليلين.

(٤) تأسو: تداوي.

الجامع يدور مع الريح، ويمناه ممدودة وأصابها مضمومة إلا السبابة فإذا أشكل عليهم مهب الريح عرفوه به. فإنه يدور بأضعف نسيم يصيبه، والذي يعمل الصبيان من قرطاس على قسبة يسمى أبا رياح أيضاً. ويقال: أخلاق الملوك مثل في التلوث قال بعضهم:

ويومٌ كأخلاق الملوك تلوثناً
أشبهه إياك يا مَنْ صفاتهُ
فصخوٌ وتغييمٌ وطلٌّ^(١) ووابلٌ^(٢)
دنوٌ، وإعراضٌ، ومُنْعٌ، ونائلٌ^(٣)

وكلم معاوية الأحنف في شيء بلغه عنه فأنكره الأحنف. فقال له معاوية: بلغني عنك الثقة. فقال له الأحنف: إن الثقة لا يبلغ مكروهاً. وكان الفضل بن سهل يبغض السعاية^(٤) وإذا أتاه ساع يقول له: إن صدقتنا أبغضناك، وإن كذبتنا عاقبتنا،^(٥) وإن استقلتنا^(٥) أفلتناك. وكتب في جواب كتاب ساع: نحن نرى أن قبول السعاية شرٌّ من السعاية، لأن السعاية دلالة، والقبول إجازة، وليس مَنْ دل على شيء، وأخبر به كمن قبله وأجازه، فاتقوا الساعي فإنه لو كان في سعائته صادقاً، لكان من صدقه لثيماً، إذ لم يحفظ الحرمة، ولم يستر العورة. وقيل: مَنْ سعى بالنميمة حذره الغريب، ومقته القريب. وقال المأمون: النميمة لا تقرب مودةً إلا أفسدتها، ولا عداوةً إلا جددتها، ولا جماعة إلا بددتها. ثم لا بد لمن عرف بها ونسب إليها أن يجتنب ويخاف من معرفته ولا يوثق بمكانه. وأنشد بعضهم:

مَنْ نَمَّ فِي النَّاسِ لَمْ تُؤْمَنْ عَقَارِيهُ
كَالسِيلِ بِاللَّيْلِ لَا يَدْرِي بِهِ أَحَدٌ
الْوَيْلُ لِلْعَهْدِ مِنْهُ كَيْفَ يَنْقُضُهُ

وقال آخر:

يَسْعَى عَلَيْكَ كَمَا يَسْعَى إِلَيْكَ فَلَا

وقال صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى:

مَنْ يَخْبُزُكَ بِشْتِمٍ عَنْ أَخٍ
ذَلِكَ شَيْءٌ لَمْ يَوَاجِهِكَ بِهِ

وقال آخر:

إِنْ يَعْلَمُوا الْخَيْرَ أَخْفَوْهُ وَإِنْ عَلِمُوا

وقال آخر:

إِنْ يَسْمَعُوا رِيبةً طَارُوا بِهَا فَرِحاً

مني وما سمعوا من صالح دفنوا

(١) الطل: خفيف الغيث.

(٢) الوابل: شديد المطر.

(٣) النائل: العطاء.

(٤) السعاية: الوشاية السيئة.

(٥) استقلتنا: طلبت الإقالة من المنصب.

صُمَّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذَكَرَتْ بِهِ وَإِنْ ذَكَرَتْ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَدْنَوْا

وقال الحسن: ستر ما عاينت، أحسن من إشاعة ما ظننت. وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: مَنْ سَمِعَ بِفَاحِشَةٍ فَأَفْشَاهَا فَهُوَ كَالَّذِي أَتَاهَا.

ومما جاء في النهي عن اللعن: ما روينا في صحيح البخاري ومسلم عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ: «لعن المؤمن كقتله». وروينا في صحيح مسلم أيضاً عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يكون اللعانون شفعاء، ولا شهداء يوم القيامة»، وروينا في سنن أبي داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء، فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يميناً وشمالاً، فإذا لم تجد مساعياً رجعت إلى الذي لعن، إن كان أهلاً لذلك، وإلا رجعت إلى قائلها» ويجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة على العموم كقوله: لعن الله الظالمين، لعن الله الكافرين، لعن الله اليهود والنصارى، لعن الله الفاسقين، لعن الله المصورين ونحو ذلك.

وثبت في الأحاديث الصحيحة أن رسول الله ﷺ لعن الواصلة، والمستوصلة^(١) وأنه قال: «لعن الله آكل الربا. وأنه قال: لعن الله المصورين. وأنه قال: لعن الله من لعن والديه، وأنه قال لعن الله من ذبح لغير الله. وأنه قال لعن الله اليهود والنصارى، واتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. وأنه قال: لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال». وجميع هذه الألفاظ في البخاري ومسلم بعضها فيهما وبعضها في أحدهما والله أعلم.

ومما جاء في العزلة ومدح الخمول وذم الشهرة: قال رسول الله ﷺ: «الخمول نعمة وكلُّ يتبرأ، والظهور نقمة وكلُّ يتمنى». وقال بعضهم:

تَلَكَّفَ بِالْخُمُولِ تَعِيشَ سَلِيمًا وَجَالَسَ كُلَّ ذِي أَدَبٍ كَرِيمٍ

وقال جعفر بن الفراء:

مَنْ أَخْمَلَ النَّفْسَ أَحْيَاهَا وَرَوَّحَهَا وَلَمْ يَيْتْ طَاوِيئاً مِنْهَا عَلَى ضَجْرِ
إِنَّ الرِّيحَ إِذَا اشْتَدَّتْ عَوَاصِفُهَا فَلَيْسَ تَرْمِي سِوَى الْعَالِي مِنَ الشَّجَرِ

وقال أعرابي: رب وحدة أنفع من جليس، ووحشة أنفع من أنيس. وكان أبو معاوية الضرير يقول: فيّ خصلتان ما يسرنني بهما رد بصري: قلة الأعجاب بنفسي، وخلو قلبي من اجتماع الناس إليّ. وقال عمر رضي الله عنه: خذوا حظكم من العزلة. وصعد حسان على أطم^(٢) من أطام المدينة ونادى بأعلى صوته: يا صباحاه، فاجتمعت الخرج فقالوا: ما عندك؟ قال: قلت بيت شعر فأحببت أن تسمعه. قالوا: هات يا حسان. فقال:

وَإِنَّ أَمْرًا أَسَى وَأَصْبَحَ سَالِمًا مِنْ النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى لَسَعِيدٌ

ولما بنى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه منزله بالعقيق قيل له: تركت منازل إخوانك. وأسواق الناس ونزلت

(١) المتوصلة: التي تطلب وصل شعرها.

(٢) الأطم: البيت المربع أو القصر المرتفع.

بالعقيق. فقال: رأيت أسواقهم لاغية، ومجالسهم لاهية، فوجدت الاعتزال فيما هنالك عافية. وقيل لعروة، أخي مرداس: لم لا تحدثنا ببعض ما عندك من العلم؟ فقال: أكره أن يميل قلبي باجتماعكم إلى حب الرياسة، فأخسر الدارين. وقال سفيان بن عيينة: دخلنا على الفضل في مرضه نعوذ: فقال: ما جاء بكم؟ والله لو لم تجيئوا لكان أحب إليّ. ثم قال: نعم الشيء المرض، لولا العيادة. وقيل للفضل: إن ابنك يقول وددت لو أني بالمكان الذي أرى الناس فيه، ولا يروني. فقال ويح ابني لم لا أتمها فقال: لا أراهم ولا يروني. وقال علي رضي الله تعالى عنه، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وطوبى لمن لزم بيته، وأكل قوته واشتغل بطاعته، وبكى على خطيئته، فكان من نفسه في شغل، والناس منه في راحة. وقال سفيان: الزهد في الدنيا، هو الزهد في الناس. وقيل لراهب في صومعته: ألا تنزل؟ فقال: مَنْ مشى على وجه الأرض عشر.

والكلام في مثل هذا كثير وقد اكتفينا بهذا صلى الله على سيدنا وعلى آله وصحبه وسلم.